تعالى الله عن ذلك وقال الله تعالى هل من خالق غير الله وقال والله خلقكم وما تعملون اي خلقكم
وخلق الاعمال الصادرة منكم ففي الاية دليل على ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى ومكتسبة لهم حيث
اثبت لهم عملا يعملونه وهو عبادة الاصنام دون الله تعالى وقد جاء في الحديث ان الله تعالى خالق
كل صانع وصنعته **فان قيل** اذا كان الله تعالى خالق الفعل فكيف يعاقب على كل شيء خلقه
قلنا كما يعاقب خلقا خلقه وليت شعري يعترض على ما خلق بانه يعذب من عقوبته من خلق بفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وعلى هذا درج السلف والصحابة وصنف فيه البخاري كتاب
خلق الافعال ولما كانت حلقة المرتعش المجمع على انها خلق الله تعالى لا كسب للعبد فيها فكذلك حركة
غيره لكن الله عز وجل خلق لهذا حركة واختيارا ولم يخلق للاخر اختيارا وان خلق له حركة ولكن
لله قدرة وللعبد قدرة هي استطاعة تصلح للكسب لا للابداع بخلاف قدرة الله تعالى فانها للابداع
لا للكسب فالله خالق غير مكتسب والعبد مكتسب غير خالق فيثاب ويعاقب على مكتسبه الذي
خلقه الله عقب قصده له **قال تعالى** وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاثبت له الرمي
ونفاه عنه باعتبارين فاذا نسب الفعل الى القدرة القديمة سمي خلقا والقادر خالقا واذا نسب
الى القدرة الحادثة سمي كسبا والقادر كاسبا ولا بد من القول بالكسب تصحيحا للتكليف بالثواب
والعقاب لامتناع الجمع بين اعتقاد الجبر المحض والتكليف وحاصله ان الافعال نسبت للخلق شرعا
لاقامة الحجة عليهم ولا فاعل في الحقيقة الا الله اذ هو الذي ابدع فعل المكتسب ولكن الكسب نسب
للعبد مجازا وقد نسب الله تعالى الكسب اليهم بقوله تعالى جزاء بما كانوا يكسبون وبقوله بما كسبت
ايديكم مراعاة لظاهر شريعته ومراعاة الباطن حقيقته وفي هذا جمع بينهما ولهذا حكي عن
علي رضي الله عنه انه قال القدر سر الله في الارض لا جبر ولا تفويض وكون فعل العبد مكتسب
للعبد مخلوقا لله تعالى متوسط بين قول المعتزلة ان العبد خالق لفعله وبين قول الجبرية
انه لا فعل للعبد اصلا وهو آلة محضة كالسكين في يد القاطع وقد تقدم شيء مما يتعلق به
بافعال العباد عند قول الناظم في المقدمة منفرد بالخلق ومن اجل ان قدرة العبد للكسب
لا للابداع فلا توجد الا مع الفعل كان الصحيح انها لا تصلح للتعلق بالضدين لاستحالة اجتماعهما
فاستطاعة الايمان توفيق واستطاعة الكفر خذلان ولا تصلح لاحدهما لما تصلح له الاخرى
وانما تصلح للتعلق باحدهما الذي يقصده وقيل يصلح للتعلق باحدهما على سبيل البدل اي تتعلق
بهذا بدلا عن تعلقها بالاخر وبالعكس ومعناه ان اقترنت بالايمان صلحت له دون الكفر
وان قرنت بالكفر صلحت له دون الايمان اما على القول بان العبد خالق لفعله فقدرته كقدرة
الله تعالى في وجودها قبل الفعل وصلاحيتها للتعلق بالضدين والصحيح ايضا ان عجز
العبد صفة وجودية قائمة بالعاجز تقابل القدرة تقابل الضدين **وقالت الفلاسفة**
هو عدم القدرة عما من شأنه ان يكون قادرا والتقابل بينهما تقابل العدم والملكة كان الامر

لاحركته

كذا

والممنوع قادر به

كذلك على القول بان العبد خالق لفعله فعلى الاول في الزمن معنى لا يوجد في الممنوع من الفعل مع
استوائهما في عدم التمكن من الفعل وعلى الثاني لا بل الفرق ان الزمن ليس بقادر اذ من شانه القدرة
بطريق جري العادة واختلفوا في ترجيح التوكل والاخرون الاكتساب فضلوا والثالث التفصيل ان يفصلا
واختلاف لنا شران بين لا من طاعة الله اثرا لا استخطا ان رزقه نقص او لم يكن متشوقا للرزق
من احد بل من الله الخلق فان ذا في حقه التوكل اولى والا الاكتساب افضل وطالب التجريد وهو في السبب
حتى يهيم دعته فليجتنب وده والتجرد للاسباب سالم في الدعة يرقه العزيز والحق ان امكث حيث اتركك
حتى يكون الله عنه ينقلك قصد العبد وطرح جانب الله في ضوء الاسباب مستكبرا او هو هيج التكاسل
اصلهم في صورة التوكل ومن وفق الله تعالى عليهم البحث عن هذه شيء يعلم ان لا يكون عن ما شاء فعلها ان اريد
اختلف في التوكل والاكتساب ايهما ارجح على اقوال وحقيقة التوكل الكف عن الاكتساب والاعراض عن الاسباب
اعتمادا للقلوب على الله تعالى عملا بقوله فاتخذه وكيلا وعلى الله فتوكلوا قال السري التوكل الانخلاع من الحول
والقوة اي بان لا يرى لاحد حولا اي حيلة ولا قوة الا بالله وهو قريب من قولهم القاء النفس في العبودية
واخراجها عن صفة الربوبية فيبقى حاله كالطفل مع ابيه وامه فانه لا يعرف غيرهما وهو معنى قولهم ان يكون
بين يدي الله في حركاته وسكناته كالميت بين يدي الغاسل وهذه الحالة اعلى من حالة الطفل لان الطفل
يصيح بالام ويتعلق بها بتحمله وهذا المقام في التوكل يثمر ترك السؤال اعتمادا على علمه به وعنايته وهو مقام
الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فرجح قوم التوكل على الاكتساب لانه
حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال اهل الصفة **قال تعالى** ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفي الحديث
الصحيح في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب وعلى ربهم يتوكلون ولانه ينشأ عن مجاهدة النفس والاجر
على قدر النصب والمراد به ذوو الرتبة العليا في التوكل ورجح اخرون ان الاكتساب افضل لا لنجح المال واعتقاد
انه جلب الرزق وجر النفع بل لانه من النوافل التي امر الله بها في قوله وابتغوا من فضل الله وطلب التعاون
بالمتلبس والرفق بهم ولقوله صلى الله عليه وسلم ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده رواه البخاري وفيه ايضا
مرفوعا ان داود عليه السلام كان لا يأكل الا من عمل يده ولانه فعل الاكابر من الصحابة وغيرهم من السلف والقول الثالث
وهو المختار التفصيل وهو انه يختلف باختلاف احوال الناس فمن اثر طاعة الله تعالى على طاعة غيره طلبا لرضا
ولم يسخط اذا اعسر عليه رزقه ولم يكن متشوفا اي لم تشرف نفسه الى احد من الناس بل الى الله تعالى لا انزل
حاجته الا به ولا يرفعها الا اليه اعتمادا على قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من يثق بالله كفاه ما
اهمه ان الله بالغ امره فالتوكل عليه اولى من يتوكل عليه غير ان المتوكل عليه يكفيه شأنه ويعظم له اجرا فالتوكل في حقه
افضل وفي الحديث لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا والا بان
يسخط عند نقص الرزق او اضطرب قلبه او تشوف لما في ايدي الناس فالكسب له ارجح وفي هذا جمع
بين اختلاف الادلة وهو نظير عدم كراهة التصدق بجميع المال لمن يصبر على الاضافة وكراهته لمن لم يصبر
قال البيهقي في شعب الايمان وعليه اكثر اهل المعرفة وقال بعضهم التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والكسب
سنته فمن ضعف عن حاله فليسلك سنته وذكر ابو محمد بن ابي جمرة ان فقير الكسب فيما تقول الشافعي الفقه الى الفقيه
المتوجه الى الله تعالى ما يجب عليه الكسب فاجاب من نور الله بصيرته ان كان متوجها دائما لا فتر فيه فالتسبب

لنماث

دهبا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)